

أضواء البيان

@ 177 @ وكلها يشهد له قرآن فنذكر الجميع ، والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْآسِّ عَمَّى وَالْأَنْصَارِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ } . ضرب الله تعالى في هذه الآية الكريمة المثل للكافر بالأعمى والأصم ، وضرب المثل للمؤمن بالسميع والبصير ، وبين أنهما لا يستويان ، ولا يستوي الأعمى والبصير ، ولا يستوي الأصم والسميع . وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة : .

قوله { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيُ وَالْأَسْمَاءُ وَلَا الْأَسْمَاءُ مَوَاتٌ إِلَّا اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ إِلَّا نَتِ } . . .

وقوله : { أَفَمَن يَعْزَمُ أَنَّ نَزَامًا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَى } . . .

وقوله : { إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْأَعْوَى وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ } إلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : { وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كُفُّوا أَعْيُنَهُمْ } . ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة : أن الملائكة من قوم نوح قالوا له : ما نراك اتبعك منا إلا الأسافل والأراذل . وذكر في سورة الشعراء ، أن اتباع الأراذل له في زعمهم مانع لهم من اتباعه بقوله { قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَعْلَى } . . .

وبين في هذه السورة الكريمة : أن نوحاً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أبى أن يطرد أولئك المؤمنين الذين اتبعوه بقوله : { وَمَا أَرَادُوا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا نَفْهَهُمْ مِّنْ لَّا قُوَّةَ بِهِمْ } ولا كِنَئِي أَرَاكُمْ قَوِّمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِلَّا طَرَدْتُّهُمْ } . وذكر تعالى عنه ذلك في الشعراء أيضاً بقوله : { إِنَّ حَسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَّبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وَمَا أَرَادُوا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ } . ! 7 7 ! قوله تعالى { قَالِ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتٍ مِّنَ الْمَنَاجِدِ وَأَنَا أَنذَرُكُمْ هَاهُنَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ } . ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة عن نبيه نوح : أنه قال لقومه : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتٍ مِّنَ رَّبِّي } أي على يقين ونبوة صادقة لا شك فيها ، وأعطاني رحمة منه

مما أوحى إلي من التوحيد والهدى ، فخفي ذلك كله عليكم ، ولم تعتقدوا أنه حق ، أيمكنني أن أُلزمكم به ، وأجبر قلوبكم على الانقياد والإذعان لتلك البيئة التي تفضل أن علي بها ، ورحمني بإيتائها ، والحال أنكم كارهون لذلك ؟ يعني ليس بيدي توفيقكم إلى الهدى وإن كان واضحاً جلياً لا